**قصة مؤثرة من التراث**

**يرزق من يشاء بغير حساب**

**رواها ابن الداية فى كتاب المكافأة**

حدثتنى ام آسية وكان لها دين ومذهب جميل ومحل لطيف من خمارويه وقد تذاكرنا لطف الله – عز وجل – فى ارزاق عباده وحسن الدفاع عنهم انه تزوجها وأختها أخوان فأقبلت حال زوج اختها وأدبرت حال زوجها قالت : وتوفى زوجها بأسوأ حالة وخلف لها بنات وتعذر عليها تجهيزه من اختلاله وتوفى زوج اختها وقد خلف من العين والمساكن والاوانى لولد اختها قالت : فكنت أجاهد فى مؤنة ولدى وإذا وقف أمرى صرت إلى أختى فقلت : اقرضينى كذا وكذا استحياء من أن اقول لها " هبى لى " ودخل شهر رمضان فلما مضى نصفه اشتهى صبيانى حلوى العيد فصرت الى اختى فقلت لها اقرضينى دينارا اعمل به للصبيان حلوى فى العيد فقالت يأختى تغظينى بقولك اقرضينى وإذا قرضتك من اين تعطينى أمن غلة دورك أو بستانك ؟ لو قلت لى هبى لى كان احسن فقلت لها أقضيك من لطف الله تعالى الذى لا يحتسب وجوده الذى يأتى من حيث لا يرتقب فتضاحكت وقالت يا أختى هذا والله من المنى والمنى بضائع التوكى فا نصرفت عنها أجر رجلى الى منزلى وكان فى جوارنا امرأة تطلق قد اوجعت قلبى فقلت ادخل اليها فليس لها قابلة قالت أم اسية ووالله ما عاينت ممخوضة قط فدخلت اليها فمسحت جوفها واجلستها كما كان القوابل يجلسنى فى طلقى فولدت من ساعتها فلما أمسك صياحها جاء الخادم يسأل عنها فقلت قد ولدت فعجب من سرعة امرها وظن هذا شيئا قد اعتمدته بحذق صناعة ولطف فى مهنة فمضى الى ستة بنت اليتيم كان مقربا بأول ولد حمل لأبى الجيش وقد عرض عليه قوابل استثقتهن فقال : وفى جوارنا قابلة احضرناها لامرأة فى حارتنا فوضعت يدها على جوفها فسقط الولد ووصفنى بما لايوجد فى قدرة أحد إلا بالله عز وجل فقالت للخادم : إذا كان غدا فجئنى بها فأتانى الغلام ودعانى الى مولاته ثم اشتكت مغسا تجده المقرب فأخلت يدى فى ثيابها ومسحت جوفها وعججت الى الله تعالى سرى بتوفيقى وكنت أدعوه ومن حضر من اهلها يتوهم أنى أرقى فسكن ماوجدته وتبركت بى ودخل اليها خمارويه وقال ما وجدت ؟ فقالت : مغسا فى جوفى فوضعت قابلة اردتها يدها عليه فزال ما أجده وأخرجتنى إليه وكان قريبا من حرمه فقال لى : ارجوا أن يخلصها الله عز وجا ببركتك

قالت ام آسية : ودخلنا فى العشر الاواخر من شهر رمضان وقد تمسكت من الاخلاص لله عز وجل بما لا يصل إليه ساح فى الجبال خوفا من شماتة اختى بى فلم تمضى إلا ثلاثة ايام حتى مخضت فأجلستها على كرسى الولادة وكان مقدار طلقها ساعتين فولدت ابنا اسهل ولادة وابو الجيش يقوم ويقعد ويذهب ويجىء فلما ولدت كانت تتوقع من الولادة امرا عظيما قالت لى : هذا الطلق قلت نعم فقبلت يعلم الله عينى من الفرح وصاح خمارويه : اخبرينى يامباركة بخبرها فقلت : وحياة الامير إنها بغافية وقد ولدت غلاما سوى الخلف بحمد الله فوجه لى بألف دينار وألح أبو الجيش فى النظر إليها لفرط إشفاقه عليها فا ستوقفته إلى أن نقلت حوائج الولادة وقلت لها : ياسيبدتى اضحكى فى وجهه كما تريه فلما دخل اليها ضحكت فى وجهه فتقدم بصدقة ومال كثير عنها وعن ولده

وقالت ام اسيه : لما كان يوم الاسبوع ووقع قبل العيد بيوم واحد أمرت لى بخمسمائة دينار وحصل من اتباعها الف دينار فحصل ألفان وخمسمائة دينار وخلعت على وسائر حشمها اكثر من ثلاثين خلعة وحمل إلى مما أعد للعيد ثلاث موائد هاصة وانصرفتالى منزلى وأرسلت الى اختى مائدة ووافتنى مهنئة وقد تقاصر طولها فأريتها ماحصل لى من المال والخلع والطيب وقلت لها : ياأختى أنكرت على قولى أقرضينى ومن هذا كنت اقضيك فلا تستصغرى من كان الله مادته وعليه مدار ثقته وتعويضه

واكتسبت هذه المرأة بمحلها من ابى الجيش مالا كثيرا وقضت لجماعة من وجوه البلد حوائج خطيرة\هذه الحادثة تغنى عن مئة صحيفة تكتب فى إيضاح الحساسية المفرطة بين ذوى الارحام فهى تكشف بأوضح الصور ما يمور به تيار الدم فى النغوس ذوات الوشائج القريبة والاواصر الدانية فمن الواضح ان اخت القابلة كانت محسنة تعطى شقيقتها ما تطلب فليست من العقوق بمحل يستكره ولكن جملة يسيرة من قولها العابث فعلت فى نفس الاخت ما تفعله النار فى الهشيم تلك هى قولها تغيطينى بقولك اقرضينى واذا قرضتك من اين تعطينى ؟ ولو كانت الاخت المحسنة تدرك حساسية الموقف بين شقيقتين من نبععة واحدة ما قالت شيئا ولعرفت ان التى تقول لها اقرضينى كانت تشعر بمثل لذع النار استحياء من قولها : هبى لى

ولك أن تقدر شعور البائسة المسكينة وهى تتحدث عن حرصها البالغ فتقول :

فأدخلت يدى فى ثيابها وعججت إلى الله تعالى فى سرى بتوفيقى وكنت ادعوا ومن حضر من اهلها بتوهم أنى أرقى

او تقول : ودخلنا فى العشر الاواخر من شهر رمضان وقد تمسكت من الاخلاص لله عز وجل بما لا يصل اليه من ساح فى الجبال خوفا من شماتة اختى بى ثم حين تقول فى النهاية " وانصرفت إلى منزلى فأرسلت إلى أختى مائدة ووافتنى مهنئة وقد تقاصر طولها فأريتها ما حصل لى من المال والخلع والطيب وقلت لها : ي أختى أنكرت على قولى أقرضينى ومن هذا كنت أقضيك فلا تستصغرى من كان الله مادته إن قولها عن اختها " تقاصر طولها " على إيجازه المفرط ليتحدث حديثا مسهبا طويلا عن دقائق العلائق بين ذوى الارحام وليصور لنا خبرة الاسلام الحصيفة بطبائع البشر حين دعا الى الاحتفاء بذوى الارحام وتقديمهم فى مجال البر والاحسان اذ ان وشائج الدم تفرض لنفسها حقوقا يسمع صوتها مجلجلا فى حنايا الضلوع وشغاف القلوب ومثل هذا الصوت المجلجل فى حنايا الضلوع لا يستطاع اسكاته دون عنف وارهاق واذكر انى فرغت من قراءة كتاب " المكافأة " جميعه على فترات ولكن لفظتى " تقاصر طولها " لم تزالا تعتملان فى صدرى حتى حاولت التخلص منها بتحرير هذا المقال